مجلة الجزيرة للعلوم التربوية والإنسانية
الرقم الدولي: ISSN Linking: 1858-5698
http://journals.uofg.edu.sd/index.php/gjeas/

الإشارة الحسية في الأحاديث النبوية
دراسة في ضوء علم اللغة

د. عباس محمد إسماعيل علي
أستاذ اللغويات المشارك، كلية التربية ، جامعة الجزيرة ، السودان .
abbassmohammed1111@gmail.com

المعلومات:
تاريخ إرسال الورقة:
تاريخ قبول الورقة:
تاريخ نشر الورقة:

الملخص

لقيت لغة الإشارة الاهتمام الكبير من قبل علماء اللغة وعلم النفس، ذلك لمكانة الإشارة اللغوية من حيث التسهيل في التواصل اللغوي، والتوضيح المعرفي، تهدف الدراسة إلى البحث عن الإشارة الحسية في الأحاديث النبوية، والكشف عن دورها في الإيضاح والبيان، ومعرفة الحكمة من استخدامه (ﷺ) الإشارة. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي الاستنباطي. توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات، ومن النتائج: إنّ من قيمة الإشارة ربط المحسوس بالمعنوي بغرض الإيضاح والترسيخ، وإنّ استخدامه ﷺ الإشارة في الأحاديث غرضه الإيضاح والبيان، وللإشارة الحسية دورها في الوصف الدقيق عن التقديرات والمماثلات كا(لسبابة والوسطى) للمقاربة، (فضم أصابعه) للمصاحبة وهكذا. توصي الدراسة بالاهتمام بالإشارة والكشف عن قيمتها ودورها الاجتماعي والتعليمي.

الكلمات المفتاحية
الإشارة – الحسيد – اللغة – الحواس ودلالاتها اللغوية – إثر الإشارة في عملية التعليم – المغزى من استخدام الرسول ﷺ الإشارة

Gestures in the Prophet's Hadiths: A Linguistic Study

Abstract

Sign language has received considerable attention from linguists and psychologists because of the crucial role it plays in facilitating linguistic communication and providing cognitive clarity. The study aimed at investigating sensory gestures in the Prophet hadiths, revealing the role they play in clarification and explanation, and uncovering the wisdom behind their use by the Prophet. The study followed the descriptive, inductive and deductive method. The most important findings are as follows: One of the values of gestures is to connect the tangible with the abstract for the purpose of clarification and reinforcement. Thus, the Prophet's used gestures in hadiths for the purpose of clarification and explanation. Sensory gestures (such as using index and middle fingers) play a crucial role in providing a precise description of estimations and analogies for the purpose of approximation. The Prophet, therefore, brought his fingers together to signify companionship, etc. The study recommends focusing on studying gestures, revealing their values and their social and learning roles.

Keywords: Sensory gestures : language : senses and their semantic implications: effect of gestures on learning : significance of the prophets (p b u h) use of gestures

مقدمة :

أولتْ الدراسات اللغوية الحديثة الاهتمام الكبير للغة الإشارة، ذلك بعد كشفهم عن أهمية تلك اللغة إذ إنّها باتت ذات أهمية قصوى في مجال التعليم، ولغة أساسية للصم والبكم، وكما إنّها تُستخدم لغة مساعدة للغة الخطابية، لهذا حُظيت بالدراسات والبحوث العلمية لتخدم المجتمعات والمؤسسات العلمية.

أهداف الدراسة :

1- دراسة أسلوب الرسول – ﷺ- في الأحاديث التي وردت فيه الإشارة.
2- معرفة الحكمة من استخدام الرسول– ﷺ- الإشارة الحسية في أحاديثه الشريفة.
3- بيان قيمة الإشارة الحسية في توضيح المعني، وربط المعنوي بالحسي.

أهمية الدراسة:

تتلخص أهمية الدراسة في:

1- إبراز مكانة الإشارة الحسيّة في توضيح دلالة النص، وبيان المراد بصورة أكثر دقة.
2- دور الحواس الإشارية في التوضيح والبيان اللغوي.
3- بيان صفات الرسول – ﷺ- الخَلْقيّة و الخُلْقيّة، وأثر ذلك في أحاديث الإشارة.

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي الاستنباطي، ذلك لوصف واستقراء النصوص ومن ثم استنباط ما في نصّ الحديث من مدلول وغرض إشاري لغوي.

الدراسات السابقة:

أ- **الإشارة الجسدية في الحديث النبوي الشريف:** دراسة في أساليب التوظيف – سنن الترمذي أنموذجاً

د. نهاد علي / مجلة الجامعة العر اقية – مركز بحوث الدراسات الإسلامية، العدد ع 45/ ج1.

اتفقت الدراستان في البحث عن الإشارة الجسدية في الحديث النبوي، واختلفتا في منهجية الدراسة والأسلوب، حيث إن الدراسة السابقة تناولت الأسلوب التوظيفي الإشاري للرسول- ﷺ، أما دراسة الباحث فتناولت دور أسلوبه- ﷺ- في استخدام الإشارة بغرض ترسيخ وتوضيح المعنى بصورة أكثر إبانة. تمحورت الدراسة السابقة في الأسلوب الإشاري النبوي ودوره في توظيف العملية التعليمية، أما الدراسة هذه فتناولت أسلوبه - ﷺ- في ربط الإشارة بالحدث.

ب- دلالة الإشارة الجسدية في شرح ابن السكيت على ديوان عروة بن الورد

عواد بن بايق الشمّري / المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 23/ 2021م ، اتفقت الدراستان في البحث عن قيمة الإشارة وتنّوع دلالاتها في النص، واختلفتا في أن الدراسة السابقة بحثت عن الإشارة الجسدية في

الشعر العربي، أما دراسة الباحث فاختصت بالبحث عن الإشارة في الحديث النبوي، ومن خلال ذلك اتضحت قيمة الإشارة ودورها في بيان المعني في الحديث النبوي.

كما بيّنت الدراسة السابقة أن الإشارة الجسدية تمثل جانباً مهماً من جوانب علم الدلالة اللغوي، أما هذه الدراسة فتوصلت إلى أن للغة الجسدية الحسية دلالات متعددة سواء أكان ذلك في التعليم أو البيان والتوضيح.

مفهوم الإشارة الحسية:

إنّ الحديث عن الإشارة بنوعيها الحسية والمعنوية، حظي بالاهتمام الكبير من قبل علماء اللغة، ذلك لما في الإشارة من أغراض متعددة في المجالات المختلفة كالتعليم والتعّلم، والتدريب، بل أنّها تُعد الثانية من حيث التواصل بين بني البشر والأولى في التواصل عند الصم والبكم، ولهذه الأهمية اهتم بها علماء اللغة المحدثون حيث أنشئت لها مدارس ووضعوا لها معايير وضوابط ذات دلالات عالمية يستخدمها ذو الحاجة من الصم والبكم، وهذا ما أعطاها مسمى لغة الإشارة، حيث إنّها تُعد الوسيلة الأساسية التي يعتمد إليها الصم والبكم في التواصل فيما بينهم، ومع الذين يتحدّثون اللغة نطقاً، مما يسهل عليهم التواصل مع المجتمعات بصورة جيدة لتقضية أغراضهم.

وقد ظهر دور الإشارة في توصيل الأفكار وتوضيح معاني ودلالات العبارات من خلال النصوص؛ إذ إنَّها تستصحب مع الألفاظ لتوضح بعض الأشياء والأحداث التي تحتاج إلى بيان أكثر .

أما الإشارة الحسية في التعليم فيتمثل دورها في توضيح بعض العبارات وشرحها عن طريق المعلم؛ حيث إنّ المعلم كثيراً ما يستخدم الإشارة، إذ إنّه يستصحبها في الشرح ليسّهل على الطالب فهم المادة بطريقة سهلة وسريعة.

فالإشارة خير وسيلة للتعلّيم، لذا فإنّ اتقانها من قبل المعلم مطلوب بالضرورة حيث إنّ استصحابها في الشرح يمكنه من أداء الدرس بصورة جيدة، مما يساعد الطلاب على التعامل و الفهم والإدراك بصورة جيدة وأسرع.

أما من حيث دورها في التعلّم فإنّ الشخص ذاتي التعلّم كثيراً ما يستخدم الإشارة والحركات ليربط بها الحدث المعرفي إذ إنّ المتعلم الذاتي يحتاج إلى عمل إشاري ليحقق أهدافه المعرفية.

ولهذا يجدر بنا البحث عن الإشارة الحسيّة في الأحاديث النبويّة؛ ذلك لمعرفة عبقرية الرسول – ﷺ- في البيان والتوضيح بالإشارة الحسيّة حيث ربْط الحدث بها مع بيان قيمتها ودورها في توصيل الفكرة .

الإشارة الحسّيّة:

الإشارة لغة: ورد تعريف الإشارة في معجم العين : " الإشارة وحْيٌ، أوحى إليه فلان : أي أشار إليه "[1] .

عرفها ابن منظور بقوله " أشار يشير إذا ما وجّه الرأي، ويُقال : فلان جيّد المشورة، والمشورة مشتقة من الإشارة، ومن ذلك أوحيتُ إليه، أي أشرتُ إليه، والوحي الإشارة2

[1] الفراهيدي ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، مادة (ش، ا ، ر) ج3

[2] محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، باب الشين والراء والتاء دار التراث العربي،1999م

الإشارة اصطلاحًا:

الإشارة: هي إقامة الحركة مقام النطق بالتعبير، ومنه أشار الأخرس، وهي تعيين الشيء باليد ونحوها" [3]

من خلال تعريف علماء اللغة للإشارة لغة واصطلاحاً، يمكن القول: إن الإشارة هي عبارة عن إيماءات رمزية حسيّة باليد أو العين أو الرأس- تحتوي على دلالات معينة ذات قيمة في توضيح المراد وتسهيل فهمه، فالإشارة داخل النص ما هي إلا حدث حركي من شيء حسّيّ، يُستدعى وجوده لاحتوائه دلالات إشارة ذات أهمية في إيصال الغرض داخل النص.

ولهذا فإنّ الإشارة الحسيّة أكثر استخداماً في المجتمعات، إذ إن المجتمع يكثر استخدامها بغرض الإيضاح والوصف، وقد تكون مصاحبة للغة الخطابية في الكثير من الأحيان، وفي التعليم والتعلّم.

قبل الشروع والحديث عن الإشارة الحسيّة في الأحاديث النبوية، يمكننا الوقوف حول ورودها في القرآن الكريم والشعر العربي.

- **الإشارة الحسيّة في القرآن الكريم:**

إنّ القرآن الكريم ورد فيه الإشارات الحسيّة والمعنوية بجميع أنواعها، في مواطن متعددة موضحة دلالة النص الذي وردت فيه وشارحة له، ومن ذلك ما ورد عن الإشارة الحسية في سورة آل عمران على لسان زكريا (عليه السلام) في قوله تعالى:" قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّام إِلَّا رَمْزاً، وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ والابْكَار" [4]، فقوله تعالى: (رمزاً) يعني إشارات وإيماءات لغوية دلالية يتواصل بها مع قومه من غير النطق باللسان، قال قتادة " قوله: (إلا رمزاً) أي إشارة، والإشارة قد تكون باللسان والعين واليد، وكانت إشارته بالأصبع المسبّحة " [5]،

كذلك ما ورد في الإشارة عن حدث السيدة مريم بنت عمران، عندما وهبها الله سيدنا عيسى عليه السلام، و تعجب واستغرب من ذلك قومُها حيث إنّه ليس من الفطرة الحمل بدون أب، لكن الأمر هيّنٌ عند الله (سبحانه وتعالى) " كذلك قال ربك هو عليّ هيّن ولنجعله آية للناس " وقد ورد الحدث الإشاري في قوله تعالى " فكلي واشربي وقري عينا، فَإِمّا تَرَيِنّ منَ البَشَر أحداً فَقُولِي إِنّي نَذَرْتُ للرَّحْمَن صَوْمًا فَلَنْ أُكَلّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا، فَأَتَتْ به قَوْمَهَا تَحْملُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمَ لَقَدْ جئْت شَيْئاً فريّاً، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيّاً، فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًّا " [6]. فالإشارة في الآية حسيّة مضمونها: أسألوه ليجيبكم عن الحدث بلسانه، دليل ذلك ردهم عليها (كَيْفَ نُكَلّمُ مَنْ كَانَ في الْمَهْد صَبِيًّا)، فإشارتها هنا أبلغ من الكلام؛ لأنّها قطعت الظن إذ إنّ الإجابة من إبنها، وهذه هي الحكمة من التوجيه للسيدة مريم (عليها السلام) بالصوم عن التكّلم لتؤكد أن الأمر من لدن العلي القدير.

---

[3] - الاصبهاني، محمد بن إبراهيم بن عاصم ، معجم المعاني الجامع ، مادة (شار)

[4] - سورة آل عمران الآية 41

[5] - انظر إلى تفسير ابن كثير ، سورة آل عمران ، الآية 41

[6] - آل عمران الآيات من 26 -29

كذلك وردت الإشارة في قوله تعالى " الّذينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ في خَلْق السَّمَوَات وَالْأَرْض رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطلاً" [7]. كما وردت الإشارة الحسيّة عن حدث في قوله تعالى: " فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْه اللَّيْلُ رَأَي كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحبُّ الآفلينَ، وَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بَازغًا قَالَ هَذَا رَبّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَإنْ لَمْ يَهْدني رَبّي لَأَكُونَنَّ منَ الْقَوْم الضَّالّينَ،فَلَمَّا رَأى الشَّمْسَ بَازغَةً قَالَ هَذَا رَبّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْم إنّي بَرئٌ ممَّا تُشْركُونَ" [8]، فالإشارة الحسيّة تكمن في بيان الألوهية التي تتشخص بالدوام، مع بيان أنّ المحسوس من الكواكب والقمر والشمس ليست بدائمة، وبدأ التدريج للوصول إلى الحقائق لسيدنا إبراهيم (عليه السلام) بالكوكب: هو نجم أكبر حجماً من النجوم الأخرى ك(الثريا، والدبرانة، والشعرى)، وبعدها تدرج إلى القمر وهو أكبر حجماً من الكوكب، وبعدها إلى الشمس فهي أكبر حجماً من القمر، ولكل من الكواكب حدث مع سيدنا إبراهيم، لكن إثبات الحقيقة لمعرفة تلك الكواكب اتصفت بعدم الدوام، فالتدريج الإشاري في الآية كان في التلازم والتوالي حيث الكوكب ذو الحجم الصغير وغيابه، ومن ثم القمر ذو الحجم الكبير وغيابه، ومن ثم الشمس ذات الحجم الأكبر وغيابها. ومغزى ذلك في الإشارة هو عدم الدوام، حيث الظهور والغياب ومقارنة ذلك بقياس أنّ كلّ الكواكب تظهر وتغيب أما الله فدائم لا بغيب.

المتأمل في القرآن الكريم يجد أنّ الإشارة الحسيّة جاءت لتوضح شيئاً لم يكن للعبد أن يصل إليه إلا من خلالها، وفي الإشارة الحسية قطعيّة الدلالة، حيث إن مفادها التفكير في الحدث الإشاري الحسي ليصل به العبد إلى الحقائق.

- **الإشارة الحسّيّة في الشعر العربي**

إنّ الشعر العربي كلام منظوم نابع أحاسيس، من خلال تلك الأحاسيس يستطيع الشاعر تحويل المعنى العقلي إلى شيء محسوس عن طريق رموز ومؤشرات وإيحاءات تحمل في ذاتها الصورة الحسيّة التي تستمد من الحواس، ولهذا فإن الشعراء كثيراً ما يستخدمون الحواس ليكون المراد أكثر وضوحاً، ومن ذلك ما أنشده أوس بن حجر في قوله :

نَوَاعمٌ مَا يَضْحَكْنَ إلَّا تَبَسُّماً * إلى اللّهْو قَدْ مَالَتْ بهنَّ السّوَالفُ[9]

قوله: (ما يضحكن إلا تبسما) مربوط باللفظ (نواعم)، وكأن عبارته هذه تشير إلى أن التبسم مقرون بالنعومة وهو من جنس التلطف، أما الضحك فلا يشبه ذلك .

[7] - سورة آل عمران الآية 191
[8] - سورة الأنعام ، الآية 76
[9] أوس بن حجر ، ديوانه ، ص46

بل الشاعر العربي ذهب إلى أبعد من ذلك في استخدام الحواس في التعبير عن حاجاته ومن ذلك ما أورده في قوله

وَيَوْمٌ تَثَنّتْ لِلْوَدَاع وَسَلَّمَتْ * بعَيْنَيْن مَوْصُولٌ بلَحْظهَا السّحْرُ
تَوَهُّمهَا أَلْوَى بأَجْفَانها الْكَرَى * كَرَى النَّوْم أَوْ مَالَتْ بأَعْطَافها الخَمْرُ[10]

والشاهد الإشاري في قوله (وسلّمتْ بعينين) فالمعروف أنّ العينين حاسة لا تسلّم، إنّما السلام أما باليد أو باللسان نطقاً، لكن الشاعر استخدم حاسة العين ليظهر ما في النفس من شجون مع النشوة تجاه من يحب ويورد.

الإشارة الحسية في الحديث النبوي:

يجدر بنا الوقوف عند تعريف الحديث لغة واصطلاحاً، إذْ إنّ الإشارة الحسية تُشَخّص من خلال التعريف .

الحديث لغة: مصدر من الفعل (حدّث)، " حدّث تكلّم وأخبر، حدّث بالنعمة نشرها وشكر اللهَ عليها" [11]، قال ابن حجر: " الحديث: هوالكلام الذي يحدّث به، وينقل بالصوت والصورة" [12]

الحديث اصطلاحاً:

يُعرَّف الحديث بأنّه: "ما ورد عن الرسول – ﷺ- من قول أو فعل أو تقرير أو صفة" [13].

لعلنا إذا وقفنا وتأملنا في تعريف الحديث اصطلاحاً عند أهل السنة يتضح لنا أنّ الأحاديث النبوية تحتوي على إشارات لغوية عدة سواء أكانت تلك الإشارات لفظية معنوية أم حسيّة اسْتُصْحبتْ في النص ليكون أكثر وضوحاً وإيصالاً للمعنى لدى السامعين.

فقول أهل السنة في التعريف، ما ثبت من قول يعني: إشارة معنوية، أو فعل أو تقرير، أو صفة يعني: إشارات حسيّة معنوية، حسب الصفة إذا كانت خَلقية أو خُلْقيّة.

بعد بيان معنى الإشارة والحديث النبوي، يمكننا الوقوف عند الأحاديث الإشارية للتعّرف على الإعجاز النبوي الأسلوبي في وصف الحاجة وبيانها للناس عن طريق الوسائل الحسّيّة، (اليد، والعين، والوجه) موضحين خلال ذلك الدلالة التي يحتويها النص الإشاري، وأثر ذلك في توضيح المعنى.

الإشارة الحسية في التبسم من خلال الأحاديث النبوية

إنّ التّبَسُّمَ إشارة للرضا والقبول والإعجاب بالأمر، عند التبسم يشعر الطرف الآخر برضا وقبول المتبسم بالأمر الذي دعاه إلى التبسم؛ لذلك كان التبسم من السمات الحسية التي اتسم بها رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم- فكان - صلى الله تعالى عليه وسلم- كثير التبسم، ومن ذلك ما رواه البخاري، عن عبد الله بن

[10]- البحتري ، ديوانه الرائية
[11] - ابن منظور ، لسان العرب ، باب الثاء
[12] الحكمي ، حافظ بن احمد بن علي الحكمي، شرح اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون ، ص18
[13] - محمود الطحان ، تيسير مصطلح الحديث ، ص17

الحارث بن الحزم(ﷺ) قال: " ما رأيت أحداً أكثر تبسّماً من رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم- " [14] ، لذلك فإنّ التبسم من سماته الخَلقيّة الخُلقيّة، ومن ذلك ما ورد عنه – صلى الله تعالى عليه وسلم- " لقد عُرف النبي- ﷺ – أنّه يحمل سراً من الأسرار، عُرف أنّ له حاجة فتهلل في وجهه متبسماً، ثم أخذه معه، فوجد لبناً فأرسله إلى أهل الصفة، وأتى بهم وسقاهم جميعاً حتى انتهى إلى النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم- وقد روي القوم كلهم، فأخذ الرسول القدح ونظر إلى أبي هريرة فتبسم ثم ناوله إياه ليشرب "[15]، فالتبسم هنا إشارة تعجب ورضى من رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم- إلى أبي هريرة، ذلك في عمل سقي اللبن الذي قام به أبو هريرة.

ومثل ذلك ما أخرجه البخاري " عن أنس بن مالك (ﷺ) قال: كنت أمشي مع رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم- وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيّ فجذبه بردائه جذبة شديدة حتى ظهرت على صفحة عاتقه، ثم قال الإعرابي: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم-، ثم ضحك ثم أمر له بعطاء" [16]، إنّما الضحك هنا استغراب من فعل الإعرابي المؤشر إلى شدة حاجته للإعانة والمساعدة المالية، والأعجب من ذلك قوله (من مال الله)، فتبسم الرسول – صلى الله تعالى عليه وسلم- مؤشر إلى أنّ ما يملك من المال فهو لله، فصدق الأعرابي في قوله (من مال الله) فتعجب الرسول من قوله و تبسّم.

ليس مطلقاً التّبَسُّمُ كناية عن الرضا والقبول بالشيء أو الحدث؛ لكنه أكثر ما يكون في ذلك، إذْ إن التّبَسَّمَ قد يكون تعبيراً عن الغضب والانفعال وذلك في لحظة الاستغراب الناتج عن الخذلان، ومن ذلك ما أخرجه البخاري، عن غزوة تبوك مع هؤلاء المخلفّين من خيرة الصحابة، فقال كعب بن مالك: فجئته فلما سلمت عليه تبسّم تبسّم المغضب، وقال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك؟ " [17]، فالتبسم هنا إشارة حسية ناتجة عن الاستغراب من فعل أصحابه أمثال كعب بن مالك، فمن خلال احمرار وجه رسول الله- ﷺ- علم كعب أنّ ابتسامته - ﷺ- ابتسامة غضب، فشكل الوجه أظهر أن البسمة إشارة للغضب وعدم الرضا عن الفعل.

الإشارةُ الحسّيَّةُ في مو اقف الغضب عند رسول الله – ﷺ-

إنّ الرسول – ﷺ – إذا غضب إنّما يغضب لله، فغضب الرسول ناتج عن مخالفة شرعية سواء كان في العبادات أو في المعاملات، ارتكبها الإنسان في حق الله أو حق الناس، وقد ورد عن أبي هريرة (ﷺ) : " خرج ذات يوم على

[14] - البخاري ، صحيح البخاري ، 5808
[15] - إبو اسحق الحويني ، دروس الشيخ أبي اسحق الحويني ، ج1 ، ص73
[16] - البخاري ، صحيح البخاري ، 5809
[17] - البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك

بعض أصحابه وهم يتنازعون في القدر، فغضب حتى احمر وجه، فكأنّما قفىء في وجنتيه الرمانة، فقال: أبهذا أمرتم؟، أم بهذا أرسلت إليكم؟، إنما هلك من كان قبلكم حين يتنازعون في هذا الأمر" [18]، فإشارة الغضب عند رسول الله مؤشر حسي مضمونه عدم الرضا بالأمر الذي يتنازعون فيه، وناتج الغضب في أنّهم يتنازعون على أمر مكتوب ومقدر من لدن علام الغيوب.

عن عائشة بنت أبي بكر(رضي الله تعالى عنهما)، قالت : " دخل عليَّ رسول الله – ﷺ - ، وفي البيت قرام فيه صورة، فتلوّن وجهه، ثم تناول الستر فهتكه، وقالت : قال: من أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور "[19]، فالإشارة الحسية للغضب كانت في الصورة التي تشبه مجسماً شبيه بالأصنام أو المجسمات التي تُعبد، وهذا الغضب إشارة إلى عدم الرضا بوضع الصور المجسمة في البيوت.

لو تأملنا في أحاديث النبي، يتضح لنا أن النّبيَّ – ﷺ – يستخدم المحسوسات في الغضب ليرسل ويوضح للناس عدم القبول في المُحدَث، وفي ذلك يشير إشارة حسية بالرفض والإنكار قبل التكلّم .

الإشارة اليدوية الحسّيَّة في الحديث النّبوي

إنّ اليدين من أكثر الحواس استخداماً عند بني البشر، سواء أكان ذلك في التعليم، في التواصل، في الإيضاح وغيره، ولهذا فإنّ الرسول – ﷺ – كان يستخدم اليد أو الإصبع في الكثير من التوضيحات، ومن إشاراته اليدوية الحسية، ما روي عنه إنّه قال: " والله ما الدنيا في الآخرة إلاّ مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذا – وأشار يحيى بالسبابة – في اليمّ فلينظر بما يرجع "[20] فالحدث الحسي الإشاري في الحديث حيث استخدام الأصبع وضرب المثل في وضع اليد في البحر دون أن يظهر نقصان البحر في ذلك مؤشر إلى أنّ هذه الدنيا حقيرة لا تستحق أن يميل العبد إليها ميلاً كثيراً.

يتنوع استخدام اليد عند الرسول – ﷺ – ليوضح للناس ويبين لهم الأمر، ومن ذلك ما ورد عنه – صلى الله عليه وسلم – " من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعة " [21]، نرى أنّ الإشارة الحسيّة لليد هنا جاءت للمصاحبة، حيث إن الذي يقوم بفعل ذلك يكون مصاحباً للرسول إلى الجنة، فالإشارة بالإصبع جاءت بمعنى المصاحبة، والذي يؤكد ذلك ضمه أصابعه إلى بعضها.

كما جاءت الإشارة الحسيّة للأصابع في موطن آخر إشارة المقاربة، ومن ذلك ما ورد عنه – ﷺ – أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، فأشار بإصبعيه السبابة والوسطى "[22] ، فالإشارة الحسية في هذا الحيث دلت على المقاربة، والذي يؤكد ذلك هو إشارته بالسبابة والوسطى، إذ إن الوسطى أطول من السبابة بقليل، هناك

[18] - البخاري ، صحيح البخاري ، ج3، 176-180
[19] - تحفة الأحوزي ، كتاب القدر ، ص280
[20] - الإمام احمد ، مسند الإمام أحمد ، ج4 ، 228
[21] - البخاري ، صحيح البخاري كتاب الاستقراض وأداء الديون ، باب العبد وراء مال سيده ، رقم 1829
[22] - مسلم ، صحيح مسلم ، ص 2983

تقارب بينهما في الطول والفرق قليل، ومثل هذا الحديث، ما رواه أبو هريرة عن رسول الله قال: " بُعثت أن والساعة كهاتين، يشير بأصبعيه فيمدّ بهما" [23] فالإشارة الحسية بالأصبعين هنا دلت دلالة المقاربة.

الملاحظ في أحاديث الإشارة بأصابع اليد في الأحاديث جاءت الإشارة به للتحقير مرة، وللمصاحبة مرة، وللمقاربة مرة أخرى، فاختلاف دلالة الإشارة مبني على الحدث ومربوط به .

الإشارة الحسيّة باللسان في الحديث النبوي

إنّ الكلام من الوظائف والمزايا التي يختص بها اللسان، حتي أنّ اللغة في القرآن الكريم جاءت باسمه (لسان عربي)، (لسان قومهم) أي لغتهم، ولهذا فإنّ الرسول – ﷺ- كثيراً ما يشير به في النهي والترك عن الفعل أو التحذير من القول الفاحش به، ولهذا وردت الإشارة الحسية به كثيراً في الأحاديث النبوية، نجد ذلك الحدث في ما رواه معاذ بن جبل " قلت يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال: لقد سألت عن عظيم (إلى قوله) ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه ثم قال: كف عليك هذا، إلى أنْ قال: يا معاذ: وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم، أو قال: على مناخرهم ألا حصائد ألسنتهم " [24] استخدم الرسول - ﷺ- الإشارة الحسّيّة مشيراً إلى اللسان ليحذر الناس عن الكلام الفاحش من قطيعة ونميمة وهمز ولمز؛ لأنّ الناس يكبون في النار على مثل هذه الحصائد الناتجة من اللسان.

وفي حديث آخر يشير فيه الرسول- صلى عليه وسلم- إلى أن الاستقامة تكون بمواظبة اللسان على الذكر، ومن ذلك ما رواه سفيان الثقفي قال: " يا رسول الله أخبرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أبداً بعدك، فقال: قل آمنت بالله ثم استقم، قال فأي شيء اتقي؟ فأومأ إلى لسانه، وفي رواية، فأشار بيده إلى لسانه"[25]، فأشار الرسول صلى عليه وسلم- إلى أنّ الاستقامة تكون بالذكر والتوحيد والقول الحسن.

الإشارة الحسّيّة الجسديّة في الحديث النبوي

استخدم الرسول- ﷺ – في الكثير ما الأحاديث الحاسة الجسدية ليعبر ويوضح بها أشياء معينة، وحركته هذه دائماً يعملها ليلفت انتباه الناس –لا سيما الصحابة- إلى عظمة الشيء أو أهميته . ومن الأحاديث التي وردت فيها الحركة الجسدية ما روي عن أبي بكرة نفيع بن الحارث (رضي الله تعالى عنه) عن رسول الله - ﷺ- قال: " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ - ثلاثاً – قلنا بلى يا رسول الله، قال: الشرك بالله، عقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، وقال: ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت"[26]. من خلال هذا الحديث استخدم الرسول - ﷺ – الحركة من الإتكاء للجلوس ليشير إلى الصحابة أنّ من الكبائر هناك أكبرها، فعندما ذكر الاثنين متكئاً ثم

[23] - البخاري ، صحيح البخاري ، 6138
[24] - ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، 3973
[25] - مسلم ، صحيح مسلم ، ص 38
[26] - البخاري ، صحيح البخاري ، باب الكبائر

تحوّل إلى الجلوس علم الصحابة أن الأمر الثالث أعظم من الأمرين، ولهذا فأنّ تحوّل الرسول من الإتكاء إلى الجلوس سيرسخ للصحابة أنّ شهادة الزور أعظم كبيرة من الأمرين السابقين؛ لأنّه إنْ لم يتحول الرسول- ﷺ – من هيئة الإتكاء إلى الجلوس، سيعلم الصحابة أن الكبائر الثلاث متساوية في العظمة والخطر.

الخاتمة:

إنّ قيمة اللغة تكون في أداء غرضها والذي يتمثل في التواصل بين بني البشر، فاللغة، أو ربما يكون غرضها إيضاح وبيان اللغة نفسها، إذ إنّ اللغة تُوضّح وتُفصّل بلغة أكثر وضوحاً، وهذا ما سعت الدراسة إلى الوقوف عليه حول لغة البيان الكائنة في الإشارة، وقد توصّلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات

النتائج:

1- هناك بعض الموضوعات والأشياء ليس من السهل فهمها إلا عن طريق لغة الإشارة.
2- استخدم الرسول - ﷺ – الإشارة في الحديث ليربط الواقعة بالحدث الحسي ليكون الأمر راسخاً للناس.
3- الإشارة ذات دور عظيم في بيان معنى ومغزى الشيء وترسيخه للناس.
4- إنّ لغة الإشارة تعد الوسيلة الأولى للتوضيح في العملية التعليمية، حيث إنّ المعلم يستصحب بعض الحواس للبيان والتوضيح عن موضوعه، وذلك بغرض تسهيل فهم الطالب للمادة العلمية في وقت أسرع، توصي الدراسة الاهتمام بلغة الإشارة ذلك دور العظيم في عملية التواصل والتعليم والتعلّم .

المصادروالمراجع

1- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية – بيروت.
2- أوس بن حجر بن مالك الأسدي، ديوان أوس بن حجر، دار صادر، بدون تاريخ.
3- أبو إسحق الحويني، دروس الشيخ أبي اسحق الحويني، صحيفة نذير 2016م.
4- حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، شرح اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون، ت عبد الكريم عبد الله الخضير، معالم السنن ط1 2018م.
5- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ت عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت 2004م.
6- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، ت محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية 1971م.
7- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، ت، محمد عبد الوهاب، دار التراث العربي،1999م.
8- محمد بن إبراهيم بن عاصم الأصبهاني، معجم المعاني الجامع، دار الكتب العلمية، 2004م.
9- محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط10 2004م.

10- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ت. محمد فواد عبد الغني، دارالإمام مالك، الجزائر.

11- محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك تحفة الأحوزي، كتاب القدر، دار الفكر.

12- محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني، سنن ابن ماجة، ج1 الرسالة العالمية .

13 مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم، دار التأصيل 2006م.

14 - الوليد بن عبيد بن يحيي الطائي، أبو عبادة البحتري، ديوانه ط1 مطبعة الجوائب القسطنطينية، 1300هـ.